الدفاع عن أهل الاتباع

تأليف

أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني

المقدمة والفهارس

حمد

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يُضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

❑ فإن الغلو في الدين داء دفين، ابتلي به أهل الهوى والشين، وهلك به من الطوائف ما الله به عليم، وقد عمل سيفه وأثره في الأمة بعض الجوانب ما عجز عنه سيف أهل الكفر والمين، فإنا لله، وإنا إليه راجعون!!

❑ إلا أن الذي يُسَلِّي أهل الاتباع ويعزيهم: أن الله عز وجل أغير على دينه من كل أحد، وأنه سبحانه وتعالى قد تولى حفظه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، وقد أخبر نبيه ﷺ ببقاء طائفة منصورة، تدافع وتنافح عن هذا الدين، فلا يضرها من خالفها من الخارج، ولا خذلها من الداخل، حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك.

❑ وقد جعل الله عز وجل حجتهم قاهرة، ومحجتهم ظاهرة، فعرفوا الحق، وبهم عرف وكانوا ميزانًا لغيرهم، فبهم يعرف المحق من المبطل، والهادي من المضل، والثابت من المتنقل، فلله درهم، وعلى الله أجرهم، وحشرنا الله في زمرتهم، وشرفنا بصحة الانتساب إليهم، إن ربي رحيم ودود.

❑ ولقد نبتت نابتة في هذا العصر، وسلكت مسلكًا غريبًا في الغلو:

فتنادى إيهامًا وتلبيسًا بأنها عن منهج السلف تذود وتدافع، وبكبار علمائه تقتدي وتتابع، وأن مخالفهم بينه وبين السنة فرق واسع، وبون شاسع، وأنه ما خالفهم إلا لأنه يبغض السنة، وأنه لأهلها منابذ ومنازع، أو لأنه يحب البدعة، وعن أهلها ينافح ويقارع!!!

❑ فلما رفعت هذه النابتة هذا الشعار؛ اغتر بها كثير من ذوي الغيرة بلا إدراك لحقيقة هذه الفرقة وهرول وراءها كثير من الجهلة الأغمار ومَثَلُهُمْ كمثل العطشان الذي يلهث وراء السراب، ومع أن هذه النابتة بعيدة في ذلك عن منهج السلف، ولم يسلم منها معظم كبار العلماء من الخلف؛ إلا أنها لا زالت تدندن بما سبق، ولا زال هناك من يهرول وراءهم، ومن يجاريهم اتقاءً لشرهم!!

❑ ولم أسلم من شر هذه الطائفة، بل نالني من شرهم، وكيدهم، وتشنيعهم ما لم يفعلوه مع يهودي ولا نصراني، ولا وثني فضلًا عن مسلم واستخدموا في سبيل وصولهم إلى مقصدهم وسائل عجيبة، وأمورًا مريبة؛ إلا أن الله عز وجل رد كيدهم في نحورهم، وانقلب السحر على الساحر!!

❑ وقد وفقني الله عز وجل بالرد على كل ما طعنوا فيَّ به، وسَلَكْتُ في ذلك المسلك العلمي القائم على الدليل المحقق، أو النقل الموثق، ولم أبال بسبِّهم المقذع، وتشنيعهم، وتجديعهم، ولزمت معهم العدل والفضل في ذلك كله وحده ومع هذا فلم أجاملهم، أو أبالغ في مدحهم، ولم أنزلهم فوق منزلتهم، وإن عدَّ ذلك بعض ذوي العواطف أمرًا آخر!!!

❑ وبعد أن نفع الله كثيرًا بالردود العلمية، وانكشفت حقيقة قواعد الغلاة الخلفية، ونفر جمهور طلاب العلم عن أساليبهم البدعية أو السوقية؛ آثرت أن أبين لكبيرهم الذي علمهم هذا الضلال، وفتح أمامهم باب الفتن

والجدال وهو الشيخ ربيع المدخلي، هداه الله حقيقة منهجه الذي يسلكه مخالفًا به أهل العلم والحلم والعدل فكتبت في ذلك عددًا من الرسائل، فكانت ولله الحمد أكثر نفعًا، وأعظم أثرًا، والفضل في الأولى والآخرة لله ذي الفضل العظيم.

❑ هذا، وليس ردي على الشيخ ربيع وحزبه؛ بمسوغ لي أن أتجاوز الحد معهم، فليس لي ولا لغيري أن أظلمهم، أو أهضمهم حقهم، أو أبخسهم أشياءهم، أو أقول فيهم ما ليس فيهم، وإن كانوا قد سلكوا في ذلك معي ومع غيري مسالك شتى!!!

❑ ولقد رأيت أن أجمع هذه الرسائل في كتاب واحد؛ عسى أن ينفع الله به في هذا الزمان وغيره، فيلزم من وقف عليه طريق العدل والوسط، ويحذر من مناهج أهل الشذوذ والشطط، ويزداد ثقة بالحق وأهله، ويزداد قدرة على رد شبهات الغلاة، فإن الشبهات خطَّافة، والقلوب ضعيفة، لا سيما وهذه الطائفة الشاذة لم تحظ بردود علمية مفصلة صريحة، بالقدر المطلوب من أهل العلم جزاهم اللهم خيرًا وذلك لانشغالهم بما يرونه أهم من ذلك، أو لأن لهم في ذلك نظرة أخرى.

❑ وقد سميت هذا المجموع «**الدفاع عن أهل الاتباع**» وراعيت فيه الترتيب الزمني لهذه الرسائل، وإن كنت عند المراجعة لبعض المواضع المتقدمة، قد أذكر بعض الأحداث الجديدة والمناسبة.

❑ ومع وجود علماء وطلاب كانوا أولى مني بالتصدي لتفنيد شبهات هذه الفئة النابتة على وجه التفصيل والتصريح؛ إلا أنني رأيت اكتفاء أكثرهم بمجرد التحذير المجمل من هذا المسلك، ورأيت أن ذلك لم يثخن في تلك القواعد الجائرة، ولم يكشف حقيقة تلك البائرة الخاسرة، فاستعنت

بالله في بيان حقيقة هذه الفكرة الدخيلة، المزاحمة للدعوة السلفية الأصيلة، وما كان لله يبقى.

وإن من المناسب هنا أن أذكر ما ذكره الشيخ محمد المختار بن أحمد الجكني الشنقيطي رحمه الله تعالى وأصلح ذريته في مقدمة كتابه: «شرح سنن النسائي» (ص ٦-٨) فما أراه رحمه الله إلا وقد ناله من شر هذه النابتة شيء كثير، وأرى أنه يعبر عما أعانيه، وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد قال رحمه الله تعالى: «لكن الثقة بعون الله تعالى إذا حسنت النية؛ حملتني على الاقتحام، وجرأتني على رفض التواني والإحجام، فشمرت عن ساق الجد، واستعنت بالله، فإنه خير معين وممد.

وقل من جد في أمر يحاوله فاستعمل الصبر إلا فاز بالظفر

❑ وإن لم أكن أرى نفسي أهلًا لما هنالك، ولا من فرسان ميادين المسالك، فلا يمنعني ذلك من أن أجود بقلبي وموجودي، وبعد ذلك لا ألام، فإن خير الصدقة جهد المقل، كما قال ﷺ، ورحم الله القائل:

أسير وراء الركب ذا عرج مؤملًا جبر ما لا قيت من عرج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب الورى في الناس من فرج

وإن ضللت بقفر الأرض منقطعا فما على الأعرج في ذاك من حرج

❑ وأعوذ بالله من طعن الحاسدين، وأهل الأهواء المغرضين، الذين استمرؤوا الوقيعة في أعراض المسلمين، وخاصة أهل العلم والدين، وكأنهم لمحاسن أهل الفضل أعداء وعنها من المتصاممين، ولم يسمعوا ما قال بعض من عني بنصيحتهم ونصيحة أمثالهم ممن هم للعورات متتبعون:

فالناس لم يصفوا في العلم لكي يصيروا هدفًا للذم
ما صنفوا إلا رجاء الأجر والدعوات وجميل الذكر

❑ فهذا زمان غلب فيه الجهل وعم، وطغى على أهله بحر الفتن والفساد وطم، وكثر فيه النكير على أهل الخير ممن تورط في ظلمات الزيغ وارتطم، فالفضيلة بين أهله مغموطة مستورة، والعثرة ولو بسوء الظن علانية مشهورة، وقد سبق فيهم قول القائل:

إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا شرًا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

وقول الأخر:

إن سمعوا سبة طاروا بها فرحًا عني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيرًا ذُكِرْتُ به وإن ذُكِرْتُ بسوء عندهم أذنوا

❑ ومع هذا؛ فالدعاوى الباطلة فيهم فاشية، وأقوال أهل الحق والمعرفة عندهم لاغية فلذلك تقدمت فيهم الأنذال، وتأخر أهل الفضل والكمال، فهم كما قال من يصف مثل ما نحن فيه من الحال:

أرى زمنًا نوكاه أسعد أهله ولكنما يشقي به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبَّ الأعالي بارتفاع الأسافل

❑ وقد اتضح فيه مصداق قول الرسول ﷺ: «**شحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه**»

❑ ومع ذلك؛ فأهل الحق لا تؤثر عليهم عوارض الأحوال، ولا يصدهم عن اتباعه كثرة الزعازع والأهوال، وواجب النصح عليهم فرض

باق لا يزال، والنشئ يحتاجون إلى الخير على أيدي الكبار، وإلا فمن أين يعرفون السبيل المستقيم، والطريق القويم، ولقد أحسن القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي إذ يقول:

متى تصل العطاش إلى ارتواء ... إذا استقت البحار من الركايا
ومن يثني الأصاغر عن مراد ... إذا جلس الأكابر في الزوايا
وإن ترفع الوضعاء يومًا ... على الرفعاء من إحدى الزوايا
إذا استوت الأسافل والأعالي ... فقد طابت منادمة المنايا

والتوجع من هذه الأحوال في الناس قديم، والأمر فيه على مر الأيام مستديم. أ هـ كلامه رحمه الله

وفي هذه المقدمة؛ أحب أن أجيب عن شبهتين:

الأولى: هناك من يقول: إن أبا الحسن كان موافقًا للشيخ ربيع في طريقته، فلما تكلم فيه الشيخ ربيع، قام بهذا الرد، ولولا طعن الشيخ ربيع فيه لكان موافقًا له على منهجه!! والجواب من وجوه:

١- قائل ذلك معذور في الجملة لجهله بحقيقة موقفي من الشيخ ربيع منذ سنوات، فعندما يراني غير مقاطع للشيخ ربيع، ويسمع تحذيري من الغلاة في التكفير؛ يظن أنني أوافق الشيخ ربيعًا على كل ما يقول، والأمر ليس كذلك!!

٢- قائل ذلك متهجم على أمر غيبي إلى حد ما وما له بذلك من علم، فما كان له ذلك!!

٣- لقد أنكرت طريقة الشيخ ربيع منذ سنوات في كتابي «السراج

الوهاج» الذي كتبته في ١٤١٨ هـ، وقد طُبع الكتاب ثلاث طبعات قبل ظهور اختلافي مع الشيخ ربيع، ولقد صرح الشيخ ربيع نفسه في رده علي في كتابه: «انتقاد عقدي ومنهجي على السراج الوهاج» وغيره، فقال: «إنني عندما راجعت الكتاب يعني السراج الوهاج علمت أنه يقصدني بذلك» يعني تحذيري من عدة صور من الغلو الواقع فيه وقال أيضًا: «وقد كنت مستيقنًا بلاءه منذ ١٤١٦ هـ» وذلك لما يجد مني المناقشة والإنكار عليه فيما خالف المنهج السلفي. فالشيخ ربيع نفسه يصرح باختلافي معه منذ سنوات، لكن صاحب هذه الشبهة لا يدري بشيء من ذلك، أو يدري لكنه واقع في غلو، وفي طرف مقابل لربيع وحزبه!! ومن هنا فلا يرضى إلا عمن وافقه حذو القذة بالقذة!! ومعاذ الله أن أهدم غلوًا، وأشيد مثله أو أشد!! نعم لم يظهر إنكاري على الشيخ ربيع من أول الأمر؛ لأنني كنت أسعى إلى الإصلاح والتقويم مع جمع الكلمة ما أمكن، فلما رأيت القوم لا يرضون إلا بالتورط معهم في غلوهم، وأشاعوا باطلهم وافتراءهم، وأظهروا ما في ضمائرهم؛ كان لزامًا عليَّ أن أعلن نقض باطلهم بالأدلة الشرعية، والآثار السلفية، وقد كان فلله الحمد والمنة.

وأيضًا: فليس كل ما عليه الشيخ ربيع أنكره، إنما أنكر عليه ما خالف فيه منهج السلف وكبار الأئمة، وإلا فالحق الذي معه ضالتنا جميعًا وإن تخلى عنه الشيخ ربيع أو حمله غلوه إلى جفاء من صنف جديد فليس لنا أن نتخلى عنه، ونسأل الله الثبات على الهدى. فليس لصاحب هذه الشبهة حق فيما يقول، ولو سلمنا بصحة ما قال، وتغافل بعض الناس عن إقرار الشيخ ربيع بمخالفتي إياه، أو تجاهل كتبي المنشورة في الرد على الشيخ ربيع وحزبه؛ فبقي الوجه الأخير، وهو:

٤- العبرة بما ذكرتُ من أدلة، ونية الكاتب بينه وبين ربه، فطالب الحق

ينظر للأدلة لا أنه يشق عن الصدور، ويتهجم على الغيب بالظن والتخمين، والموعد الله عز وجل، والأجر عليه لا على أحد غيره.

الشبهة الثانية: هناك من يقول: إن الكلام في الشيخ ربيع وإن كنت محقًا يسقط مكانته، وهو رجل له آثار عظمية في نصرة السنة، ثم إن المخالفين يشمتون في الدعوة لذلك.

والجواب من وجوه:

١- الشيخ ربيع وإن كان له بعض الجهود النافعة في بعض الجوانب؛ إلا أن شره قد زاد وطار في العالم منذ وقت. فأصبح له أتباع على قواعده المنحرفة، وأسلوبه الشنيع وفهمه الضار، وتفرقت الدعوة بسبب هذا وغيره من الأمور التي عرف به هو وأتباعه فمن كان كذلك؛ لا يسكت عنه، بل لابد من نصحه، وطلب التحاكم معه إلى لجنة علمية في النزاع، أو المناظرة في مسائل الخلاف، وقد سعيت في هذا كله، وتوسط بعض العلماء الأفاضل في ذلك؛ فلم يجد ذلك شيئًا فكان لابد من الرد العلمي، وقد كان ولله والحمد والمنة فإن سقط الشيخ ربيع؛ فبذنوبه، وانحرافه، وظلمه، وبغيه، وليس مقصودي إلا بيان الحق، والنصح للخلق، ووضع الرجل في منزلته فقط، لكن حال السابق؛ هو الذي أورثه المهالك، والظلم ظلمات ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ وصدق من قال:

قضى الله أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

٢- السكوت عن قواعد وأسلوب هذا الحزب؛ لا يخفف الشر، بل يزدادون بالسكوت شمخًا، وفي الدعوة تمزيقًا، مفتخرين بأن الحق معهم،

مدعين أنهم لو كانوا على باطل؛ لرد عليهم مخالفوهم، حتى كان بعض أذناب الشيخ ربيع يقول في بداية ظهور خلافي مع الشيخ ربيع: الشيخ ربيع ما رد على أحد إلا أحرقه وأسقطه، فلا تبالوا بردود أبي الحسن، فخصم الشيخ ربيع مهزوم قطعًا، ثم مثل بعدد من الناس، من بينهم من هو من كبار العلماء!! فهل السكوت يعطل أو يقلل شر هؤلاء، أم يزدادون به تلبيسًا على أتباعهم المفتونين بهم ؟! فلما يسر الله عز وجل بردود طلاب العلم عليهم نظر بعض الغلاة إلى بعض، وأعينهم تدور كالذي يغشى عليه من الموت وشرقوا بريقهم وكفانا الله كثيرًا مؤنتهم، فلله الحمد والمنة.

٣- لقد لبس هؤلاء على طلبة الحق في كل مكان والقلوب ضعيفة، والشبهات خطافة، كما قال الحافظ الذهبي رحمه الله فلابد من السعي فيما يثبت الله به القلوب، ويذهب به الكرب عن طلبة العلم، وأنصار الهدى، وهذا إذا كان في حدود الضوابط الشرعية؛ فهو جهاد في سبيل الله تعالى.

٤- إن سد الباب أمام شماتة الأعداء، وذلك بترك مرجل الغلاة بتضليل الشباب، وتمزيق الأمة؛ مقصد غير شرعي، وماذا ينفعنا أن يحسن بنا الظن، ورياح الفرقة والضلال تهب على صفوفنا، ونحن قادرون على إنقاذ ما أمكن، فنترك الأمر على ما هو عليه؛ لنفرّ من شماتة الأعداء ؟!! إن هذه العاطفة القائمة على اللفلفة: لا تربي أحدًا؛ لأنها مخالفة لمنهج السلف: فهل غاب عنا موقف علي رضي الله عنه ممن خالفه، وشذ عنه من الصف ؟ وكذا موقف الأئمة في الدين ؟! وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من متعصبة المذاهب ؟! والمخالفون اليوم وإن كانوا من أهل السنة بأعيانهم، لا بطريقتهم!! إلا أنهم سلكوا مسلك أهل البدع في تمزيق الصفوف بسبب مسائل اجتهادية، مع أن الحق في أكثر الأحوال معنا، وليس معهم، كما أنهم امتحنوا الناس بمقالات خفية محدثة وبقادتهم، وبأشخاص مغمورين،

فمن وافقهم على مدحهم أو ذمهم؛ رفعوه، ومن خالفهم، رموه بالمروق من السنة، وسعوا في هجره، والافتراء عليه بما لم يدر بخلده، كما سيأتي إن شاء الله مفصلًا!! ولقد حذر السلف من مقالة حماد بن أبي سليمان وذر بن عبد الله المرهبي على علمهما عندما تكلما بالإرجاء، وحذروا من مقالة يعقوب بن شيبة وداود بن علي على علمهما عندما تكلما بالوقف في القرآن، ولم يقل أحد: إن هذا يؤدي إلى شماتة الأعداء، مع أنه لم يبلغنا أن هؤلاء فعلوا ما فعله الشيخ ربيع وحزبه من إثارة الفتن في الصف السلفي، وهجر مخالفهم، وهجر من لم يهجره، وهجر من لم يهجر من لم يهجره، وتبديع من لم يبدع مخالفهم، وتبديع من لم يبدع من لم يبدع من بدعوه، بل التبديع بمجرد من توقف في تبديعه. إلخ ما سيأتي في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

إن الرد على المخالف مع مراعاة الضوابط العلمية والحال والمآل من منهج أهل السنة والجماعة، ولما سلكت هذا المسلك؛ كسر الله - من فضله وجوده - شوكة هذا الفكر، وأسال الله أن يزيل ما بقي منه، فإذا سلكنا هذا المسلك؛ فلا يهمنا رضي أو سخط الأعداء، فإنهم لا يزالوت ساخطين، والله عز وجل يقول: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ وصدق من قال للأعداء:

الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم إن لم تحبونا

٥- ومما يؤسف له: أن بعض هؤلاء العاطفيين، إذا طعن فيهم أحد؛ كالوا له الصاع صاعين، ولم يقفوا عند الضوابط التي وفقني الله عز وجل إلى مراعاتها!! فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تنبيه: في ردي على الشيخ ربيع سلكت في الغالب طريقة نقل كلامه بلفظه من كتاب، أو شريط، حتى وإن كان فيه لحن، وباللغة العامية، دون

تقويم لذلك في الجملة مع أنه كان يقرأ كلامي، ويفهم منه ما أراد، ثم يقَوِّلُني ما لم أقل، ثم يتخذ له خصمًا غير موجود، وينسب إليه عقائد ومقالات لم تدُرْ بِخَلَدِهِ، ولا يحتملها كلامه، ثم ينبري للرد على ذلك دون نقل لكلامي!!! وقد خالف بذلك طريقة العقلاء - فضلًا عن العلماء - وقد بينت ذلك كله في مواضعه ولله الحمد والمنة.

أسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل كله خالصًا، ولمنهج السلف ناصرًا، ويغفر لي زلتي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي، وأن يجعل هذا العلم حجابًا لي من سخط الدنيا، ووحشة القبر، وعذاب الآخرة، وإن يثبت به قلبي، ويرفع به ذكري، ويشرح به صدري، وييسر به أمري، ويحفظ به ديني ودنياي، ومعاشي ومعادي، ويغفر به لي، ولوالدي، وأهلي، وذريتي، وأحبتي، إنه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه، الغني بعونه ومدده

أبو الحسن السليماني

وكان ذلك في مدينة الرياض - حرسها الله وجميع المسلمين -

في ١٩ رمضان ١٤٢٤ هـ

فهرس الموضوعات

الرسالة الثانية

الرسالة الثالثة

الرسالة الرابعة

الرسالة الخامسة

الرسالة السادسة

الرسالة السابعة

الرسالة الثامنة

الرسالة التاسعة